University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

الدور السياسي والحضاري لمدينة بلخ في اقليم خراسان عهد الدويلات المستقلة

د. موسى جمعة سليمان الحبيب .

(عضو هيئة التدريس - كلية التربية القبة - جامعة عمر المختار – ليبيا)

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد العاشر - أكتوبر 2016

الدور السياسي والحضاري لمدينة بلخ في اقليم خراسان عهد الدويلات المستقلة

ملخص:

إن هذا البحث يبرز الدور السياسي و الثقافي لواحدة من أهم المدن في اقليم خراسان و هي مدينة بلخ حيث كانت في أوقات كثيرة حاضرة سياسية و لها من الأدوار ما يجعلها ذات أهمية سياسية بالغة ، و كل الدول التي تعاقبت على حكم اقليم خراسان كان بقاءها مرتبطاً بإخضاع مدينة بلخ حتى وإن لم تتخذ منها عاصمةً لها، و قد كان للعديد من الأقاليم و المدن الإسلامية دور حضاري و علمي متميز من بين تلك المدن بلخ حيث كانت مركزاً من مراكز العلم على مر القرون، و قد تميزت بنشاطها العلمي و ذلك بفضل جهود العديد من الحكام والعلماء و رجال الدين الذين كان لهم جهداً كبيراً في ازدهار المدينة وتطورها.

Abstract

Key findings the study proved that balkh played a basid and pioneering role in the development of science and literature in the moslim state since the early days and its history was all over the Islamic ralling ages balakh was a light pole for science from different regions in the Islamic countries .

المقدمة

كانت خراسان بما تشتمل عليه من أرباع أربعة مرو و هراة و نيسابور و بلخ تمثل محيطاً جغرافياً هاماً بالنسبة للدولة الإسلامية منذ القضاء على الوجود الفارسي الحاكم بها سنة 32هـ/652 م على يد الفاتحين المسلمين، و قد ارتبطت بالأحداث التاريخية الإسلامية الهامة وذلك بارتباطها بالدولة العربية الإسلامية في العصر الراشدي و الأموي وظلت تلعب دوراً هاماً في الدولة العباسية في أوج قوتها و ضعفها و كانت مطمعاً لعدد من الأسر التي استقلت أو التي حاولت الاستقلال عن المراكز الهامة في دولة الخلافة و من هذه الدويلات كانت الدولة الطاهرية و الدولة الصفارية و الدولة السامانية ثم الدولة الغزنوية، إلا انها اختلفت في علاقاتها بالخلافة العباسية ما بين دولة مستقلة استقلالاً تاماً و دولة مستقلة استقلالاً اسمياً.

لقد كان لبلخ في هذا الاقليم دوراً سياسياً و حضارياً متميزاً، فهي مركز من مراكز العلم على مر القرون في تاريخها الإسلامي، و قد تميزت بنشاطها العلمي و ذلك بفضل جهود العديد من الحكام و الوزراء و العلماء الذين كان لهم فضل كبير في ازدهار المدينة و تطورها و قد تأثرت الحياة العلمية فيها بالأوضاع السائدة في البلاد و تركت آثاراً واضحة حيث ظهر العديد من رواد العلم في جميع مجالات العلم المختلفة.

أهمية الموضوع : إن الدراسات على الدويلات المستقلة في أقليم خراسان كثيرة ومتنوعة و لكن ما هو جدير بالذكر أن تلك الكتابات عندما يرد فيها ذكر لمدينة بلخ فإنه يكون مجرد شذرات متناثرة في أرجاء الدراسة لا تتعدى أسطر إن تم جمعها، و هذه الدراسة المتواضعة تسلط الضوء الى حد ما على مدينة بلخ في عصر الدويلات المستقلة لعل الباحث يجد فيها ضالته، و على أقل تقدير دليله الى المصادر التي كتبت عن بلخ و من هنا تكمن أهمية الموضوع.

أهداف الدراسة : تهدف هذه الدراسة إلى توضيح مدى أهمية مدينة بلخ بالنسبة لمدن خراسان في عهد الدويلات المستقلة و دورها البارز في الحضارة الإسلامية من خلال دراسة الأوضاع السياسية و الثقافية فيها، و معرفة مدى اهتمام السلاطين و الأمراء بالحياة العلمية و الثقافية و أهم الانجازات التي حققوها في هذا المجال.

المنهج المتبع : أتبعت في هذه الدراسة المنهج السردي التحليلي وعزو كل قول إلي مصدره بأمانة علمية.

وصف بلخ وجغرافيتها :

بلخ إحدى ارباع أقليم خراسان المشهورة الأربعة، نيسابور، و مرو وهراة، و بلخ [1] و خراسان من الأقاليم التي فتحت في وقت مبكر من زمن الخلافة الإسلامية، حيث لما أستخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه ولى عبدالله بن عامر بن كريز البصرة فأفتتح من أرض فارس ما افتتح، ثم غزا خراسان وذلك عام 30 هـ [2]، ولم يكن ثمة تحديد دقيق لمساحة بلخ وحدودها، قيل طولها مائة وخمس عشرة درجة، وعرضها

1- الاصطخري،ابواسحاق ابراهيم بن محمد،(1962م)،المسالك والممالك،(تحقيق محمد جابر عبد العال)،مطبعة القاهرة،د.ط،253 .
-ابن حوقل،ابوالقاسم محمد،صورة الارض،دار الحياة،بيروت،د.ت،ص359.
2- البلاذري،احمد بن يحيى،فتوح البلدان،تعليق رضوان محمدرضوان،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1،ص394 .

سبع وثلاثون درجة ومكانها الإقليم الخامس[3]، وفي تحديد آخر أنها من مدن الإقليم الرابع، وطولها احدى وتسعين درجة وعرضها ست وثلاثين درجة[4].

لقد تعددت أسماء بلخ في كتب عديدة كتبت عنها، وكلها أشادت بها، ذكر ياقوت الحموي أنها من أجل مدن خراسان واشهرها وأوسعها غلة[5]، وذكر ايضاً انها مدينة من اقدم البلاد و أحضها بالملوك وانها تشبه العراق[6]، وقيل مدينة عظيمة القدر[7]، و وصفت كذلك ببلخ البهية[8].

تقع مدينة بلخ العريقة داخل إقليم خراسان و بالتحديد في الشمال على الطريق القادم من الصين لبغداد إلى الجنوب مباشرة من إقليم خوارزم وبلاد ما وراء النهر[9]، وتوصف بأنها من أجمل مدن خراسان و اجلها حيث تخترق الأنهار شوارعها وتحف الأشجار شواطئ الأنهار، دورها فسيحة وثمارها عجيبة ومياهها نقية و جامعها في وسط الأسواق، وحولها سور وبها عدة أبواب و سطوح منازل أهلها مستوية و أحوال الطقس بها باردة على غرار كل أنحاء خراسان وهوائها معتدل و أراضيها من أخصب الأراضي في إقليم خراسان و لذلك تحيط بها الزراعات و البساتين من جميع النواحي و يكثر بها الخيرات و الرزق[10]، و إلى وقتنا هذا يمكن القول أن بلخ من أجمل مدن افغانستان وبالتحديد تقع في شمالها، و بها المزار المعروف بمزار شريف[11].

الحالة الدينية في بلخ: كانت الديانة السائدة في بلخ قبل الإسلام البوذية، و يرجع السبب في ذلك أن الرجل الذي اسمه (زرادشت) الذي تنسب إليه تلك الديانة قد ولد في بلخ[12]، و أصبحت بذلك من أهم المدن المعتنقة لهذه الديانة، بل أصبحت مركزاً مهماً لنشر الديانة، و قد استمرت كذلك حتى أيام الفتح الإسلامي[13]، و ما أن فتحت المدينة عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى تحولت إلى مدينة إسلامية تعتنق المذهب السني[14]، على مذهب الإمام أبي حنيفة، حيث ارتبط سكان المدينة بالإمام ارتباط وثيق بكل ما يقول ويفعل[15].

وعلى الرغم من ذلك كثرت المذاهب والفرق خاصة في العصر العباسي في اقليم خراسان عامة وبلخ خاصة، ربما يعود السبب في ذلك أن الحكام الذين تعاقبوا على

3- ياقوت الحموي،أبوعبدالله،(1990م)معجم البلدان،(تحقيق فريدعبدالعزيز الجندي)،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، ،ج1،ص479.
4- السمعاني،أبوسعد عبدالكريم،(1988م)الأنساب،(تعليق عبدالله عمر البارودي)،دار الجنان،بيروت،ط1، ،ج1،ص388
-القلقشندي،ابوالعباس ،(1992م)أحمد،صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،دار الكتب المصرية،القاهرة،ط1، ،ج4،ص395 .
1- معجم البلدان،ج1،ص479.
2- الثعالبي،أبومنصور عبدالملك،(1984م)، لطائف المعارف،(تحقيق محمود عبدالله الجارد)،مكتبة دار العروبة،بغداد،ط1، ص203 .
3- اليعقوبي،احمد بن ابي يعقوب،(1960م)، البلدان،دار صادر،بيروت، ص55 .
4- المقدسي،أبو عبدالله محمد،(1909م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،طبع ليدن،مطبعة بريل، ص238
5- النرشخي،أبوبكرمحمد بن جعفر،(1965م)، تاريخ بخارى،(تحقيق و تعليق امين عبدالمجيد بدوي)،دار المعارف،ط3، ص90.
6- المقدسي،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ص238 .
7 - كي لسترنج،(1954م)، بلدان الخلافة الشرقية،(ترجمة بشير فرنسيس،كوركيس عواد)،مطبعة الرابطة،بغداد، ص465،464.
1- الشهرستاني،أبوالفتح محمد بن عبدالكريم،(1993م)، الملل والنحل،(تحقيق محمد سيد كيلاني)،دار المعرفة،بيروت،ط3، ج1،ص235.
2- حيدر محمد علي،(1973م)، الدويلات الإسلامية في المشرق،عالم الكتب،القاهرة، ص3، 4.
3- أبن الفقيه،أبو عبدالله أحمد،(1996م)، البلدان،(تحقيق يوسف الهادي)،عالم الكتب،بيروت، ص617.
4- المدرس،محمد محروس،(1977م)، مشايخ بلخ من الحنفية و ما انفردوا به من المسائل الفقهية،الدار العربية للطباعة،بغداد،ط1، ج1،ص26 .

حكم اقليم خراسان كلاً منهم له تأييده لمذهب معين، حيث ظهرت العديد من الفرق الدينية كالمعتزلة والإسماعيلية و القرامطة و الجارودية و الصوفية و غيرها الكثير، فاصبح يعرف أن اقليم خراسان أكثر الأقاليم المكتظة بالفرق الدينية بعد بغداد[16]، و قد خدمت تلك الفرق الدينية باختلافاتها و انقساماتها النهضة العلمية في بلخ، حيث كان للجدل و النقاشات و المناظرات و المجالس العلمية بين الفرق الدينية من جهة و العلماء من جهة أخرى أكبر الأثر في التطور الفكري و الثقافي في خراسان عامة و بلخ بصفة خاصة[17].

بلخ في عهد الدويلات المستقلة:

1 – الدولة الطاهرية :205 – 259هـ / 820 – 872 م.

تعتبر الدولة الطاهرية أولى الدويلات شبه المستقلة عن الخلافة العباسية في اقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر، و قد أسسها طاهر بن الحسين مكافأة له على خدماته للخليفة العباسي المأمون 198– 218 هـ/ 813– 832 م[18]، و توارث أبناء طاهر بن الحسين و أحفاده حكم هذه الدويلة حتى سقطت عام 259 هـ/ 872م، وكانت بلخ احدى اقاليم الدولة الطاهرية، و اسهمت بلخ كغيرها من اقاليم خراسان في النهضة العلمية والاقتصادية التي شهدتها الدولة الطاهرية، ففي عهد عبدالله بن طاهر بن الحسين اهتم بالعلم والعلماء، و كان هو نفسه شاعراً موهوباً يقرض الشعر و يكرم الشعراء، كما اهتم بنشر العلم بين طبقات المجتمع دون تفرقة [19].

أدى الفساد الإداري في الولايات التابعة للدولة الطاهرية إلى جانب انقسام البيت الطاهري على نفسه وتقلص ممتلكاته في المشرق وطموح القيادات الطاهرية في محاولة الانفراد بالحكم إلى سقوط الدولة الطاهرية[20].

الدولة الصفارية :259 – 279هـ / 872 – 909م.

دخلت خراسان ضمن الأملاك الصفارية بعد صراع مع الطاهريين و الخلافة العباسية بعد تمكن يعقوب بن الليث مؤسس الدولة الصفارية من فرض سيطرته على سجستان و حصوله على اعتراف الخلافة بحكمه عليها، ثم توجه إلى بلخ سنة 258ه/871م و استولى عليها في أول هجوم و اضطر عاملها الطاهري و يدعى داود بن إسماعيل إلى الفرار منها، و قد اشتهر يعقوب بن الليث باليقظة و حسن التدبير، كما كان يحسن اختيار رجاله، فاستطاع بذلك أن يهيئ الأمن والاستقرار في دولته[21].

5- حيدر محمد علي،الدويلات الإسلامية في المشرق،ص3-7.
6- المقدسي،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ص264 .
1- الكرديزي،أبوسعيد عبدالحي بن الضحاك،(1982م)، زين الاخبار،(ترجمته عن الفارسية عفاف السيد زيدان)،دار الطباعة المحمدية،الأزهر،ط1، ص215 .
2- ابن الأثير،عزالدين أبوالحسن بن محمد،(1966م)، الكامل في التاريخ،دار صادر،بيروت، ج6،ص91، 92.
3- الأصفهاني،حمزة بن الحسن،(1961م)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام،دار الحياة،بيروت،ط3، ص175 .
4- الطبري،ابوجعفر محمد بن جرير،(1967م)، تاريخ الأمم والملوك،(تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم)،دار المعارف،القاهرة،ط2، ج9،ص476 .
- المسعودي،ابوالحسن علي بن الحسين بن علي،(2005م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر،(تحقيق كمال حسن مرعي)،المكتبة العصرية،بيروت،ط1، ج4،ص202.
-ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج6،ص313.

ومع التوسع في الممتلكات للدولة الصفارية في خراسان على حساب الخلافة العباسية أقلق هذا الأمر الخليفة العباسي المعتمد، فحارب الخليفة يعقوب بكل الوسائل الممكنة[22]، و في عام 265ه/878م توفي يعقوب و خلفه أخوه عمرو بن الليث وذلك بإقرار من الخليفة العباسي، و تمكن من الاستيلاء على العديد من بلاد الأعاجم، و قد عظم أمره في بلخ يشهد على ذلك قوله للخليفة "لو شئت أن اعقد على نهر بلخ جسراً من ذهب لفعلت"[23]، وفي عهد الخليفة المعتضد العباسي ضاق الخليفة ذرعاً من طمع عمرو بن الليث خاصةً بعد أن عرف أن أهل بلخ ضجروا منه و من اصحابه، فكثيراً ما اخذوا منازلهم و أموالهم، فزجه الخليفة في حرب مع السامانيين الحاكمين في بلاد ما وراء النهر، و أراد بذلك أن يضرب الخصمين بعضهما ببعض، و قد انهزم جيش عمرو الصفاري و أسر و قد سر الخليفة بذلك و حمل إلى بغداد و سجن فيها حتى مات[24]، و هكذا نجد أن الدولة الصفارية استمرت سبعاً وثلاثين عاماً ثم سقطت و تحولت بلخ كغيرها من مدن خراسان إلى تبعية الدولة السامانية.

الدولة السامانية :290– 384هـ/ 910– 994م.

ينتسب السامانيون إلى سامان خداه الذي كان في بلخ أيام الفتح الإسلامي لبلاد خراسان و قد دخل الإسلام في عهد الخليفة الاموي هشام بن عبدالملك على يد أسد بن عبدالله القسري أمير خراسان[25]، و نتيجة لعلاقاته الطيبة مع أسد القسري وصل هو و آله إلى إرضاء الخلفاء العباسيين، وقد برز منهم إسماعيل بن أحمد الذي يعتبر مؤسس الدولة السامانية و هو الذي تمكن من القضاء على الدولة الصفارية[26].

أتسعت الدولة السامانية في عهد إسماعيل و شملت بلاد خراسان و ما وراء النهر وتعددت إلى سجستان و جرجان و كرمان[27]، و قد توالى آل سامان على الحكم أقوياء مسيطرين حتى عام 365ه/975م عندما تولى أبو القاسم نوح بن منصور 365– 387هـ/975– 988م بدأت الاضطرابات و الفتن بين القادة و الأفراد في بلخ و كل خراسان، و وصل الأمر إن اسندت كل مدينة لقائد[28]، على رأسهم محمود بن سبكتكين والياً على خراسان كلها، و بوفاة الأمير نوح انفرد محمود بن سبكتكين بحكم خراسان و قضى على الحكم السامانى و اتخذ من بلخ مقراً لحكمه[29].

1- الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج9،ص4512 .
- حيدر محمد علي،الدويلات الإسلامية في المشرق،ص71 .
2- أبن الطقطقي،محمد بن علي بن طباطبا،الفخري في الآداب السلطانية،دار صادر،بيروت،ص95 .
3- الطبري،تاريخ الأمم والملوك،ج10،ص76، 77.
- أبن الجوزي،ابو الفرج عبدالرحمن بن علي،المنتظم،(تحقيق محمد عبدالقادر عطا)،دار الكتب العلمية،بيروت،ج12،ص401 .
4- النرشخي،تاريخ بخارى،ص113 .
- أبن الأثير،الكامل في التاريخ،ج7،ص479 .
1- فابري،أرمينوس،(1972م)، تاريخ بخارى منذ أقدم العصورحتى العصر الحاضر،(ترجمة أحمد محمود الساداتي)،مراجعة و تقديم يحيى الخشاب،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة، ص93 .
2-حيدر محمد علي،الدويلات الإسلامية في المشرق،ص169 .
3- المستوفي،تاريخ كزيدة ذيل على تاريخ بخارى للنرشخي،ص152 .
- أبن كثير،أبوالفداء اسماعيل بن عمر،(1988م)، البداية والنهاية،(تحقيق علي شيري)،دار احياء التراث العربي،بيروت،ط1، ج15،ص370.
4- الكرديزي،زين الأخبار،ص28 .
- أبن الأثير،الكامل في التاريخ،ج7،ص466 .

الدولة الغزنوية : 384- 444هـ/944– 1052م.

حافظت الدولة الغزنوية على اقليم خراسان بعد أن منحتهم الخلافة العباسية حكم هذه المنطقة التي وقعت تحت إيديهم نتيجة انهيار الدولة السامانية في خراسان، و أيدت وباركت لهم فتوحاتهم في الهند، و تمثلت قوة تلك الدولة في السلطان محمود الغزنوي الذي كان من أقوى الشخصيات الإسلامية التي عرفت في القرنين الرابع و الخامس الهجريين حيث كثرت الفتوحات في عهده و اتسعت[30]،و بعد وفاته نودي بابنه مسعود سلطاناً للبلادعام 421هـ/1031م،و واصل سيرة والده و كان ملكه عظيماً فسيحاً شمل خراسان و اصبهان و همذان و طبرستان[31].

و في عام 428هـ/1036م ، ذهب الأمير مسعود إلى بلخ حتى يتم ضبط امور خراسان، و كان التركمان موجودين في بلخ ، فقام بطردهم منها، و دانت له[32]، و في عام 430هـ/138م دخل الأمير مسعود في معارك مع السلاجقة الذين بدأ نفوذهم يقوى في المنطقة وهزم الأمير في معركة دندانقان عام 431هـ/1039م و هرب إلى غزنة، و بذلك استولى السلاجقة على بلخ، و ما ان جاء عام 444هـ حتى كانوا السلاجقة قد قوضوا حكم الغزنويين في خراسان عامةً و انهت قوتهم و بذلك اعترف الخليفة العباسي القائم بأمر الله بقيام دولة السلاجقة في اقليم خراسان و اصبحوا تابعين للخلافة العباسية بدلاً من الغزنويي[33].

دولة الأتراك السلاجقة:

السلاجقة احدى قبائل الغز الأتراك اقاموا في شرق الدولة العباسية ثم اعتنقوا الإسلام على المذهب السني الحنفي، و نظراً لعوامل داخلية تركوا موطنهم الأصلي و استقروا في بلاد ما وراء النهر، و لما ضاقت بهم مراعيهم تطلعوا إلى الغرب حيث كان الغزنويين يبسطون سلطانهم على تلك المنطقة، و سمح لهم السلطان محمود الغزنوي بعبور نهر جيحون و الاستقرار في اقليم خراسان، و استطاعوا أن يقيمون دولة لهم و حارب السلاجقة و من تصدى لهم و بعد أن ورثوا أملاك الغزنويين و اعترف بهم الخليفة العباسي[34] كان لابد لهم من السيطرة على مدينة بلخ لما لها من

5- الكرديزي،زين الأخبار،ص285، 286.
- أبن تغري بردي،جمال الدين أبوالمحاسن يوسف الأتابكي،(1992م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصروالقاهرة،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، ج4،ص202 .
1- أبن العبري،أبوالفرج غريغوريوس بن هارون،(1994م)، تاريخ مختصر الدول،(تصحيح انطوان صالحاني)،دار الرائد اللبناني،لبنان،ط2، ص319، 320.
2- الكرديزي،زين الأخبار،ص328 .
-أبن خلدون،عبدالرحمن بن محمد،(1979م)، تاريخ أبن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،مؤسسة جمال للطباعة،بيروت، ج4،ص328 .
3- البيهقي،أبو الفضل محمد بن الحسين،(1982م)، تاريخ البيهقي،(ترجمة الى العربية يحيى الخشاب صادق نشأت)،دار النهضة العربية،بيروت، ص699 .
-الكرديزي،زين الأخبار،ص332، 333، 334.
- أبو الفداء اسماعيل بن علي بن محمود،(1979م)، المختصر في أخبار البشر،(تحقيق محمود ديوب)،دار الكتب العلمية،بيروت،ج1،ص518 .
- الحسيني،أبوالحسن صدر الدين علي بن ناصر،(1984م)، أخبار الدولة السلجوقية،(أعتنى بتصحيحه محمد اقبال)،دار الآفاق،بيروت، ص37-45 .
1- محمود عبدالعظيم أبو النصر،(2001م)، السلاجقة وتاريخهم السياسي والعسكري،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،القاهرة،ط1، ص7، 8.

أهمية، و قد كونوا جيشاً بقيادة الملك جغري بك داود بن مكائيل و هاجم بلخ و هزم جيش الغزنويين و انهى وجودهم[35].

ظل السلاجقة في السيطرة على بلاد خراسان حتى عهد السلطان سنجر 552هـ/1157م، الذي بدأ في عهده بوادر انهيار الدولة السلجوقية، حيث اثقل كاهل أهل بلخ و غيرها من المدن بما فرضه عليهم من الخراج[36]، و حدثت المعارك بين بين السلطان سنجر و الاتراك انتهت بهزيمته و احتفظ بمدينة بلخ و لكن قتل من اصحابه الكثير و ضعفت قوته[37]، و ما لبث ان مات و بعده بسطت الدولة الخوارزمية سيطرتها على جميع ممتلكات الدولة السلجوقية بخراسان و انتهى حكم السلاجقة نهائياً في خراسان[38].

الدولة الخوارزمية:

كان الأمراء السلاجقة كغيرهم من أمراء الدول الأخرى يشترون العبيد، و كان أنوشتكين من ضمن أولئك العبيد الأتراك، و أخذ يترقى في الوظائف لنباهته و قوة شخصيته حتى أصبح والياً على خوارزم، و خلفه بعد وفاته ابنه قطب الدين الذي اعتبر مؤسس الدولة الخوارزمية، و قد عرف بخوارزم شاه[39].

بعد وفاة قطب الدين اسندت ولاية خراسان إلى علاء الدين أتسز، و في سنة 613ه/1216م، عظم ملك علاء الدين باستيلائه على بلخ، و في سنة 614هـ/1217م ساءت العلاقة بين الدولة الخوارزمية و الخلافة العباسية على خلفية تحريض الخلافة لصاحب غزنة بمهاجمة الدولة الخوارزمية، و وصل الأمر إلى أن علاء الدين فكر في مهاجمة بغداد نفسها غير أن سوء الأحوال عنده حالت دون ذلك[40].

توفي علاء الدين وخلفه ابنه جلال الدين منكبرتي 617هـ/1220م، و في نفس العام دخل المغول بلخ بقيادة جنكيز خان و خربوها و تركوها خاوية على عروشها، ثم بدأوا في باقي املاك الدولة الخوارزمية[41]، و بهذا فقدت الدولة الخوارزمية معظم ممتلكاتها و تفرق جيشها و نهبت خزائنها.

الحياة العلمية في بلخ في عهد الدويلات المستقلة

2- البيهقي،تاريخ البيهقي،ص616-622 .
- الحسيني،أخبار الدولة السلجوقية،ص37-49 .
3 البنداري،عماد الدين محمد بن محمد الأصفهاني،(1999م)، تاريخ آل سلجوق،(أختصره أبوالفتح بن علي بن محمد البنداري)،مطبعة شركة الكتب العربية،مصر، ص234-251.
-أبن خلكان،أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد،(1969م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،(تحقيق احسان عباس)،دار صادر،بيروت،ج2، ص427، 428.
4- أبن الوردي،زين الدين عمر بن مظفر،(1969م)، تتمة المختصر في أخبار البشر،دار الكتب العلمية،بيروت، ج2،ص52-55 .
- أبن الجوزي،المنتظم،ج18،ص90 .
5- أبن الأثير،الكامل في التاريخ،ج9،ص10، 11.

1- أبن تغري بردي،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،ج6،ص188 .
- حسن ابراهيم حسن،(1967م)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،مكتبة النهظة المصرية،القاهرة،ط1 ،ج4،ص100،101 .
2- أبن الأثير،الكامل في التاريخ،ج10،ص400 .
أبن بطوطة،أبوعبدالله محمدبن أبراهيم اللواتي،(2004م)، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار،(رحلة أبن بطوطة)،دار النفائس،بيروت، ج1،ص228 .
3- ناجي معروف،(1976م)، عروبة العلماء المنسوبين الى البلدان الأعجمية،مطبعة وزارة الاعلام،العراق،ط1 ، ج2،ص30 .

عندما تم فتح خراسان بما فيها بلخ و أخذ يتوالى عليها الحكام و الولاة من جهة الخلفاء المسلمين اهتم السلاطين ببلخ لأنها مدينة كبيرة تتمتع بوفرة في كافة مواردها و بالتالي كان الاهتمام بالعلم هو الصفة المميزة لهذا الإقليم، فقد علم السلاطين و الوزراء أن العلم هو عماد الدولة، و أن العلماء هم مشاعل الحضارة فعملوا على تشجيع العلوم، وبنوا المساجد و المدارس لطلاب العلم، و أكرموا العلماء و احسنوا وفادتهم و اجزلوا لهم العطاء، و اصبحت بلخ تنافس بغداد نفسها من الناحية العلمية.

في العهد الطاهري كان الأمراء والوزراء الطاهريين أنفسهم مهتمون بالعلم و العلماء و عرف عنهم أنهم يجزلون العطاء لأهل العلم الأمر الذي شجع على الحركة العلمية، و شهدت بلخ نهضة علمية في شتى المجالات، و اصبحت قبلة للطلاب من جميع الجهات و ذلك طلباً للمعرفة و العلم[42].

و في فترة الحكم الصفاري على الرغم من أن فترة حكمهم عملوا طوالها على تثبيت حكمهم إلا أن تلك الفترة شهدت طفرةً كبيرةً في الشعر، فقد ظهر الكثير من الشعراء و قد كانوا ينظمون الشعر باللغة الفارسية[43].

و في عهد الدولة السامانية وصلت الحركة العلمية إلى أعلى المراتب، و حصل العلماء و الأدباء على أقصى درجات الاهتمام و التشجيع و اصبح لديهم مناخ جيد للإبداع و العطاء[44]، و قد برزت بلخ في هذا الجانب حتى أنها كانت تبعث بالعلماء إلى المدن الأخرى، و بصورة عامة عرف الأمراء السامانيين بحبهم للعلم فأنشأوا المساجد و المدارس و دور الكتب و أنشأوا الأربطة و حبس الأوقاف عليها حتى أن بعضها كان يتسع لأكثر من الف رجل[45]، هذا العصر شهد حركة نقل لكل ما كان غير مختوم من كتب السلطان وتعرف بالمنشورات و الاحكام من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية[46].

و أيضاً في العصر الغزنوي شهدت بلخ نهضة ثقافية كبيرة و ذلك بفضل دعم و تشجيع الحكام الذين ساروا على نهج اسلافهم الذين لم يدخروا جهداً في سبيل رفع شأن العلم في دولتهم[47] برز منهم السلطان أبو القاسم محمود بن سبكتكين كان مكرماً

1- حيدر محمد علي،الدويلات الاسلامية في المشرق،ص73 .
2- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص264.
3- الثعالبي،(1990م)، آداب الملوك،(تحقيق جليل العطية)،دار الغرب الاسلامي،بيروت، ص76 .
- أحمد أمين،ظهر الإسلام،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط1،ج1،ص259
4- النرشخي،تاريخ بخارى،ص147 .
- البيهقي،تاريخ البيهقي،ص805 .
5- بدر عبدالرحمن محمد،(2001م)، دور غزنة الثقافي في عهد السلطان محمود الغزنوي وابنه مسعود،كلية الآداب،جامعة بنها،العدد9،اتحاد المؤرخين،القاهرة، ص59.

1- البيهقي،تاريخ البيهقي،ص213.
- أبن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج5،ص34.
2- البغدادي،اسماعيل باشا محمد الباباني،(1955م)، هدية العارفين،المطبعة البهية،استانبول، ج2،ص31 .
- الزركلي،خير الدين،(2002م)، الاعلام،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين،دار العلم للملايين،بيروت،ط15، ج7،ص771 .
- العيني،بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى،(تحقيق أحمد نمر)،مركز النشر العلمي،جامعة الملك عبدالعزيز، ص429 .
3- عبدالنعيم حسنين،(1975م)، دولة السلاجقة،مكتبة الأنجلو،القاهرة،د.ط، ص87 .
-حلمي أحمد كمال،(1975م)، السلاجقة في التاريخ والحضارة،دار البحوث العلمية،الكويت،ط1 ، ص373.
4- أبن الجوزي ، المنتظم ، ج16،ص 309.
5- أبن خلكان،وفيات الاعيان،ج2،ص128، 129 .

لأهل العلم محباً لهم و كان هو نفسه من الفقهاء[48]، و في عهده صنفت العديد من المؤلفات و ألفت الكثير من الكتب و الأشعار[49].

لم يكن دور السلاجقة أقل أهمية من الدول الأخرى التي قامت في خراسان، فقد اهتم السلاطين أنفسهم ببناء المدارس و تشجيع العلماء مادياً و معنوياً، و كانت مجالس السلاطين يغلب فيها رواد العلم والأدب[50]، و مما يذكر في هذا المقام أن السلاطين السلاجقة كانوا ينفقون في بلخ و غيرها على أرباب المدارس و المساجد و الاربطة ما يقارب ثلاثمائة ألف دينار سنوياً[51]، و تعد المدرسة النظامية التي أسسوها في بلخ من أولى المدارس العلمية في الإسلام و التي عرفت بنظامية بلخ ، و كان مع المدرسة مسجداً جامعاً و مكتبة ضخمة مزودة بكتب كثيرة[52].

النتاج العلمي في بلخ:

لقد كان للعلماء الذين تلقوا العلوم في بلخ سواء القارين أو الوافدين إليها أكبر الأثر في إذكاء الحركة العلمية والمعرفة، و ذكر عن الكثير أنهم جابوا البلدان و تخطوا حدود مواطنهم بما حملوه من التحصيل العلمي وفي شتى المجالات وكافة العلوم، منهم أبوالحسن علي بن أبي الطيب النيسابوري المتوفي 458ه/1065م كان حجة في التفسير والوعظ ورواية الحديث وهو أحد الطلاب الوافدين على بلخ[53].

ومن العلماء الذين أصبح لهم شأناً ومنزلةً علمية كبيرة في مدينة بلخ أبو عمرو عثمان بن منصور بن عبدالكريم الطرازي المتوفي 524ه/1129م، وفد إلى بلخ وتلقى فيها العلوم ولم يخرج منها حتى وفاته أشتهر له مجلساً للمناظرة والوعظ والإرشاد ، عرف هذا المجلس بأنه كان دائم الإكتظاظ من كثرة المريدين[54].

وبرز العالم الكبير أبوسعيد آدم بن أحمد الهروي الأسدي المتوفي 536ه/1141م، وفد إلى بلخ وعاش بها وتلقى فيها العلوم وساهم مساهمة علمية كبيرة في الأدب واللغة وقد رحل إلى خوارزم وانتفع الناس بعلمه واصبح له تلامذة كان لهم دوراً علمياً فيما بعد[55].

وكان العالم الفقيه أبومحمد فضل الله بن محمد الدندانقاني المتوفي 552ه/1157م، كان مناظراً رفيع المستوى في حديثه وقوته في الإقناع، وهو من طلاب العلم الوافدين إلى بلخ من أهل مرو وعقد له مجلس اصبح من أشهر مجالس الوعظ[56].

لم تقتصر مساهمة علماء بلخ في إثراء العلم والثقافة في بلخ وحدها بل تعدى ذلك بأن رحل بعضهم إلى بلدان أخرى لنشر ما تعلموه إلى تلك الجهات منهم على سبيل المثال لا الحصر أبوبكر بن الحسين الفريابي البلخي المتوفي 301ه/913م، كان

1- السبكي،أبونصر عبدالوهاب بن علي،طبقات الشافعية الكبرى،(تحقيق محمود محمد الطناحي)،دار احياء الكتب العربية،بيروت،د.ت،ج4، 312-314

- الذهبي،أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز،(1990)، سير اعلام النبلاء،(تحقيق شعيب الارناؤوط و محمد نعيم بوقوس)، مؤسسة الرسالة،بيروت، ج19،ص96 .

53 - الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج18،ص173، 174.

54- أبن أبي الوفاء،الجواهر المضيئة،ج2، ص523.

55 - السبكي،طبقات الشافعية،ج7،ص171 .

السمعاني،(1975م)،التحبير في المعجم الكبير،(تحقيق منيرناجي)،مطبعة الإرشاد،بغداد،ج2،ص72.-1

قاضياً محدثاً، رحل إلى مصر وعقد مجلساً وأشتهر هناك ثم رحل إلى بغداد وتولى فيها القضاء وعقد مجلساً للمحاضرات قيل أن عدد طلابه وصل إلى عشرة آلاف طالباً للعلم[57] .

ومن علماء بلخ المتميزين أبوالحسن علي بن الحسين الغزنوي البلخي المتوفي 551ه/1163م،عرف في المصادر بالبرهان ، كان واعظاً تتلمذ على رجال العلم في بلخ وخرج فصيحاً مفوهاً يجيد اللغة العربية والأعجمية أيضاً، وكان فقيهاً ومفسراً للقرآن الكريم ، عرف عنه صفات حسنة مثل المروءة والعطاء العلمي ، واصبح محبوباً لدى الناس العرب منهم و العجم ، وقد رحل إلى بغداد وانتفع الناس بعلمه وثقافته[58].

إضافة إلى الأفراد فقد ظهرت أسر كاملةً في بلخ اشتغلت بالعلم وتدريس العلماء ومساعدتهم حتى اصبحت تلك الأسر يقصدها طالبي العلم من مختلف الأماكن ولم يقتصر اهتمام تلك الأسر بفرع بعينه من العلوم بل نجدها في شتى مجالات العلم والمعرفة، من هذه الأسر أسرة أبي المعالي[59]كان من أبنائها العلماء عبدالملك الجويني، عرف في خراسان والعراق والحجاز بعلمه في الخطابة والترجمة إلى الفارسية والنقد وله عدة مصنفات منها كتاب بيان الأديان[60].

لقد كان لبلخ كما سبق ذكره دور كبير في نهضة الحركة العلمية في كل أرجاء خراسان ببلدانها وقراها، فقد كان دور العلماء واضحاً في التدريس وتأليف المصنفات في كافة الفنون والعلوم، وكانت دور العلم المختلفة تعج بتلامذة العلم في كافة الفنون والمعارف العلمية.

الخاتمة:

إن الدول التي استقلت عن مركز الخلافة الإسلامية في خراسان بما فيها مدينة بلخ كانت كلها دول دولاً سنية، و قد لعبت دوراً بارزاً في حماية العقيدة الإسلامية السليمة، و حرص حكامها على مختلف دولهم على مر التاريخ بمدينة بلخ و تفقد احوالها، و اهتموا اهتماماً بالغاً بالعلم و اهله من رجال دين و علماء و كتَاب حيث سخروا لهم جميع الإمكانيات اللازمة لتشجيعهم على الإبداع و التعلم و كانت النتيجة ان ظهر منهم علماء و أدباء و شعراء و انعكس ذلك بالطبع على اقليم خراسان بصورة عامة.

2- السبكي،طبقات الشافعية الكبرى،ج1،ص48
الذهبي،سير اعلام النبلاء،ج14، ص96. -
3- ابن الجوزي،المنتظم،ج8،ص108.
- الذهبي،سير اعلام النبلاء،ج20،ص324.
[59]- خورشيد، زكي ابراهيم وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب، القاهرة، ج1،ص609.
[60] -السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج7، ص191،خورشيد، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص609.

ثبت المصادر و المراجع

المصادر:

1-أبن الأثير،عزالدين أبوالحسن علي بن محمد،(1966م)، الكامل في التاريخ،دار صادر،بيروت.

2-الاصطخري،ابواسحاق ابراهيم بن محمد،(1962م)، المسالك والممالك،(تحقيق محمد جابر عبد العال)،مطبعة القاهرة.

3-الأصفهاني،حمزة بن الحسن،(1961مم)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام،دار الحياة،بيروت،ط3.

4-أبن بطوطة،أبوعبدالله محمدبن أبراهيم اللواتي،ت(2004م)، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار،(رحلة أبن بطوطة)،دار النفائس،بيروت.

5-البغدادي،اسماعيل باشا محمد البابباني،(1955م)، هدية العارفين،المطبعة البهية،استانبول.

6-البنداري،عماد الدين محمد بن محمد الأصفهاني،(1999م)، تاريخ آل سلجوق،(أختصره أبوالفتح بن علي بن محمد البنداري)،مطبعة شركة الكتب العربية،مصر.

7-البيهقي،أبو الفضل محمد بن الحسين،(1982م)، تاريخ البيهقي،(ترجمة الى العربية يحيى الخشاب صادق نشأت)،دار النهضة العربية،بيروت.

8-أبن تغري بردي،جمال الدين أبوالمحاسن يوسف الأتابكي،(1992م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصروالقاهرة،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1.

9-الثعالبي،أبومنصور عبدالملك،(1984م)، لطائف المعارف،(تحقيق محمود عبدالله الجارد)،مكتبة دار العروبة،بغداد،ط1.

10-الثعالبي،(1990م)، آداب الملوك،(تحقيق جليل العطية)،دار الغرب الاسلامي،بيروت.

11-أبن الجوزي،ابو الفرج عبدالرحمن بن علي،المنتظم،(تحقيق محمد عبدالقادرعطا)،دار الكتب العلمية،بيروت.

12-الحسيني،أبوالحسن صدر الدين علي بن ناصر،(1984م)، أخبار الدولة السلجوقية،(أعتنى بتصحيحه محمد اقبال)،دار الآفاق،بيروت.

13-ابن حوقل،ابوالقاسم محمد،صورة الارض،دار الحياة،بيروت،د.ت.

14-أبن خلدون،عبدالرحمن بن محمد،(1979م)، تاريخ أبن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،مؤسسة جمال للطباعة،بيروت.

15-أبن خلكان،أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد،(1969م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،(تحقيق احسان عباس)،دار صادر،بيروت.

16-الذهبي،أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز،(1990م)، سير اعلام النبلاء،(تحقيق شعيب الارناؤوط و محمد نعيم بوقوس)، مؤسسة الرسالة،بيروت.

17-السبكي،أبونصر عبدالوهاب بن علي،طبقات الشافعية الكبرى،(تحقيق محمود محمد الطناحي)،دار احياء الكتب العربية،بيروت،د.ت.

18-السمعاني،أبوسعد عبدالكريم،(1988م)، الأنساب،(تعليق عبدالله عمر البارودي)،دار الجنان،بيروت،ط1.

- التحبير في المعجم الكبير (تحقيق منير ناجي)، مطبعة الإرشاد، بغداد،1975م.

19-الشهرستاني،أبوالفتح محمد بن عبدالكريم،(1993م)، الملل والنحل،(تحقيق محمد سيد كيلاني)،دار المعرفة،بيروت،ط3.

20-الطبري،ابوجعفر محمد بن جرير،(1967م)، تاريخ الأمم والملوك،(تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم)،دار المعارف،القاهرة،ط2.

21-أبن الطقطقي،محمد بن علي بن طباطبا،الفخري في الآداب السلطانية،دار صادر،بيروت،د.ت.

22-أبن العبري،أبوالفرج غريغوريوس بن هارون،(1994م)، تاريخ مختصر الدول،(تصحيح انطوان صالحاني)،دار الرائد اللبناني،لبنان،ط2.

23-العيني،بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى،(تحقيق أحمد نمر)،مركز النشر العلمي،جامعة الملك عبدالعزيز،د.ت.

24-أبو الفداء اسماعيل بن علي بن محمود،(1997م)، المختصر في أخبار البشر،(تحقيق محمود ديوب)،دار الكتب العلمية،بيروت.

25-أبن الفقيه،أبو عبدالله أحمد،(1996م)، البلدان،(تحقيق يوسف الهادي)،عالم الكتب،بيروت .

26-القلقشندي،ابوالعباس أحمد،(1992م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،دار الكتب المصرية،القاهرة،ط1.

27-الكرديزي،أبوسعيد عبدالحي بن الضحاك،(1982م)، زين الاخبار،(ترجمته عن الفارسية عفاف السيد زيدان)،دار الطباعة المحمدية،الأزهر،ط1.

28-أبن كثير،أبوالفداء اسماعيل بن عمر،(1988م)، البداية والنهاية،(تحقيق علي شيري)،دار احياء التراث العربي،بيروت،ط1.

29-المستوفي،تاريخ كزيدة ذيل على تاريخ بخارى للنرشخي.

30-المسعودي،ابوالحسن علي بن الحسين بن علي،(2005)، مروج الذهب ومعادن الجوهر،(تحقيق كمال حسن مرعي)،المكتبة العصرية،بيروت،ط1.

31-المقدسي،أبو عبدالله محمد،(1909م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،طبع ليدن،مطبعة بريل.

32-النرشخي،أبوبكرمحمد بن جعفر،(1965)،تاريخ بخارى،(تحقيق و تعليق امين عبدالمجيد بدوي)،دار المعارف،ط3.

33-أبن الوردي،زين الدين عمر بن مظفر،(1996م)، تتمة المختصر في أخبار البشر،دار الكتب العلمية،بيروت.

34-ياقوت الحموي،أبوعبدالله،(1990م)، معجم البلدان،(تحقيق فريدعبدالعزيز الجندي)،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1.

المراجع :

1-حسن ابراهيم حسن،(1967م)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،مكتبة النهظة المصرية،القاهرة،ط1.

2-حلمي أحمد كمال،(1975م)، السلاجقة في التاريخ والحضارة،دار البحوث العلمية،الكويت،ط1.

3-حيدر محمد علي،(1973م)، الدويلات الإسلامية في المشرق،عالم الكتب،القاهرة.

4-الزركلي،خير الدين،(2002م)، الاعلام،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين،دار العلم للملايين،بيروت،ط15.

5-عبدالنعيم حسنين،(1975م)، دولة السلاجقة،مكتبة الأنجلو،القاهرة،د.ط.

6-فابري،أرمينوس،(1972م)، تاريخ بخارى منذ أقدم العصورحتى العصر الحاضر،(ترجمة أحمد محمود الساداتي)،مراجعة و تقديم يحيى الخشاب،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة.

7-كي لسترنج،(1954م)، بلدان الخلافة الشرقية،(ترجمة بشير فرنسيس،كوركيس عواد)،مطبعة الرابطة،بغداد.

8-محمود عبدالعظيم أبو النصر،(2001م)، السلاجقة وتاريخهم السياسي والعسكري،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،القاهرة،ط1.

9-المدرس،محمد محروس،(1977م)، مشايخ بلخ من الحنفية و ما انفردوا به من المسائل الفقهية،الدار العربية للطباعة،بغداد،ط1.